الحياة الاقتصادية في العراق في مرحلة أنتاج القوت والقرى الزراعية (العصر الحجري الحديث /العصر الحجري الحديث المعادن)

. . غيث حبيب خليل
جامعة تكريت / كلية الاداب
قسم التاريخ

المقدمة

احتلت بلاد الرافدين مكانة رفيعة وغدت سراجا تقتبس منه الحضارات الأخرى مظاهر التحضر والتمدن، ولم يكن هذا الإبداع وليد الصدفة أو مقتبس من حضارات أخرى بل كان من صنع سكان بلاد الرافدين ويجسد نضال طويل تمثل بالأسس الأولى للحضارة والتي تبدأ من عصور ما قبل التاريخ لتحقق وعبر مخاض طويل نقلة نوعية تمثلت بإنتاج القوت وذلك في العصر الذي يطلق عليه العصر الحجري الحديث بحدود الألف العاشر قبل الميلاد منهيا بذلك آلاف السنين من كونه جامعا للقوت وان ينتقلوا من حياة البداوة والترحال إلى حياة الاستقرار والإنتاج وبعد ذلك أسس أولى القرى الزراعية في شمال بلاد الرافدين وهي قرية (جرمو) ( ).

وعلى العموم فان الدراسات الخاصة بعصور ما قبل التاريخ تعد قليلة إذا ما قورنت بالدراسات التي تناولت العصور التاريخية ، وذلك بسبب عدم وجود التدوين الذي اكتشف في بلاد الرافدين في منتصف الألف الرابع ق.م، والذي يعتبر المصدر الرئيس في تصور ورسم ملامح المعطيات الحضارية لأي عصر من العصور.

وعليه فقد اعتمدت دراسات عصور ما قبل التاريخ وبصورة رئيسة على نتائج التنقيبات الأثرية من المخلفات المادية المتمثلة بالبقايا العمارية والفنية وبقايا الحيوان والنبات ، واجتهد الباحثون في عقد المقارنات والتحليلات للخروج بنتائج وتصورات عن حقائق الحياة في تلك المرحلة.

وفي هذه المرحلة الجديدة وهي مرحلة إنتاج القوت بدأ الإنسان يعتمد كيفية الحصول على قوته عن طريق وسائل أخرى غير صيد الحيوانات البرية وجمع النباتات البرية، وتشير أقدم المكتشفات التي تعود إلى هذه المرحلة عن أقدم بقايا تمثل مرحلة حضارية جديدة أصبح فيها الإنسان ولأول مرة مستقرا يعتمد في معيشته على ما استطاع تدحينه( ) من حيوانات ونباتات ونتج عن ذلك ما يطلق عليه (مرحلة اقتصاد جمع القوت)، وقد كان لإنتاج القوت اثر كبير وبعيد المدى فقد وجد الإنسان إن الاستقرار في قرى دائمة أو شبه دائمة ضرورة من اجل أن يكونوا قريبين من ما يزرعونه وقطعان الماشية التي دجنوها وهذا بدوره قد ساعد على إسراع عملية تدجين الحيوانات البرية وكذلك ساعد على ظهور أولى التنظيمات والأفكار السياسية، الاجتماعية، الأخلاقية، الدينية، الفنية، والصناعات لان الاستقرار والزراعة تحتاج إلى صناعة أدوات جديدة أكثر تنوعا وتخصصا من الأدوات السابقة.

وكذلك نتج عن الاستقرار زيادة في الأعداد البشرية عما كانت عليه في العصو السابقة وبشكل ملفت للانتباه وذلك بسبب قدرته على تامين موارد عيشه طوال السنة.

وتجدر الإشارة هنا أن هذا التغير في حياة الإنسان وحدوث ثورة حضارية شملت كافة نواحي الحياة، لم تكن بشكل مفاجئ أو وليد الصدفة بل كانت نتيجة

لمخاض طويل تمكن الإنسان خلالها من الاستفادة مما حوله ومما يشاهده ومن تجاربه المتنوعة حتى وصل إلى هذا التغير في تحوله من حياة البداوة وعدم الاستقرار إلى حياة الاستقرار وإنتاج القوت .

وعلى الرغم من قلة الدراسات التي تناولت هذه المرحلة فأن ما لها من أهمية كبرى في تطور الإنسان وتقدمه والاستقرار الاقتصادي فقد استأثرت باهتمام من قبل الباحثين و الآثاريين منذ القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر محاولين إيجاد الأسباب والعوامل التي ساعدت أو أدت إلى هذا التغير في نمط الحياة ومن أهم هذه العوامل هو العامل المناخي وأثره على عملية الانتقال،فضلا عن عوامل البيئة والعوامل الحضارية الدينية والاجتماعية وما لها من دور مباشر أو غير مباشر على حدوث هذا التغيير في نمط المعيشة.

وربما يسال سائل ما هي جدوى دراسة عصور ما قبل التاريخ أو التاريخ القديم وتكمن الإجابة عن هذا التساؤل هو كون التاريخ القديم بوجه عام انه يتحدث عن قصة تطور الإنسان منذ أقدم عصوره ويصور لنا كيف كانت حياة الإنسان الأولى عندما كان في مرحلة الفطرة والتوحش واعتماده على ما توفره الطبيعة له من مصادر عيشه، ثم كيف تمكن بعد مرحلة طويلة استمرت آلاف السنيين أن ينتقل من ما كان عليه إلى حياة جديدة اتسمت بالاستقرار وإنتاج القوت واستمرت في النضج والتطور حتى نشأت أولى الحضارات الناضجة المتمدنة.

كما تبين لنا دراسة التاريخ القديم لبلاد الرافدين وتاريخ الحضارات الأخرى خارج بلاد الرافدين عن مدى تأثر تلك الحضارات بحضارة بلاد الرافدين فضلا عن حضارة وادي النيل من خلال المخلفات الأثرية، العمارية، والفنية ... الخ، كما تمكننا من

معرفة جذور عادات وتقاليد وتأثيرات أخرى استمرت في التوارث حتى الوقت الحاضر في مجتمع بلاد الرافدين.

وخلاصة القول إن دراسة التاريخ القديم يساعد في فهم حاضر الإنسان وكيف وصل إلى ما هو عليه ويكشف لنا عن الأصول الأساسية لآثاره وتراثه، وبذلك تكون دراسة التاريخ القديم ضرورة لازمة لفهم التاريخ الحديث وفهم حاضر الإنسان.

فيمكن القول إن معرفة ودراسة تاريخ أي حضارة ما هو إلا بمثابة ذاكرة لتاريخ الجنس البشري أو كما قال الباحث (درويسن) التاريخ هو (اعرف نفسك) فكما إن ماضي أي فرد منا تؤثر تجاربه وخبراته الماضية في سير ورسم حاضره، فكذلك يؤثر ماضي البشرية في حاضرها وإذا لم يكن للبشرية ذاكرة كما للفرد فإن التاريخ هو (ذاكرتها وضميرها).

الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين في مرحلة إنتاج القوت والقرى الزراعية

بات في حكم المؤكد ميل الإنسان بصورة كبيرة نحو الاعتماد على الإنتاج النباتي والحيواني لسد جزء كبير ومهم من حاجاته المعيشية الأساسية، ولكنه مع ذلك ترك جزء يسير من تلك االاحتياجات للطبيعة يأخذ منها ما تجود به عليه من نباتات يجمعها وحيوانات يصطادها.

وتقسم مرحلة إنتاج القوت إلى ثلاث مراحل تضم كل مرحلة منها عددا من القرى ومميزات تميزها عن قرى المرحلة التي تليها، شهدت كل مرحلة نشاطين اقتصاديين رئيسين هما الزراعة والرعي.

النشاط الاقتصادي في قرى المرحلة الأولى(الألف السابع والسادس ق.)

) الزراعة :

لقد شهدت المرحلة الأولى من القرى الزراعية اتجاها كبيرا من قبل الإنسان في استنباط أساليب حياتية جديدة تقف الزراعة والرعي على رأسها حيث تلاحظ وفرة الأدلة الأثرية في هذا المجال ومن جميع قرى المرحلة.فمن قرية جرمو جاءتنا أولى الأدلة الأثرية التي تشير إلى بدايات الزراعة لأنواع مهجنة من الحنطة والشعير وهي نماذج لازالت تعتبر حتى الوقت الحاضر من أقدم ما وصل إليه الإنسان في الزراعة غير أن تلك الأعمال الزراعية الأولى لم تكن تغطي الحاجة الكلية لسكان قرية جرمو والدلالة على ذلك هو استمرارهم في جمع النباتات البرية التي تم العثور عليها في بقايا القرية وعدم العثور على غرف للخزن مما يؤكد عدم وجود فائض في الإنتاج يستدعي خزنه في المخازن( ).

غير أن هذا الوضع بدء يتغير ويتسع في فترات لاحقة من قرى المرحلة الأولى إذ كشفت التنقيبات في قرية حسونة ( ) وأم الدباغية ( ) ويارم تبة (التل الأول) ( ) عن بقايا أبنية استخدمت لخزن الإنتاج الفائض عن حاجة سكان تلك القرى واتساع مساحة الأراضي الزراعية المستخدمة لزرع الحبوب الهجينة للحنطة والشعير، كما يستدل على هذه الوفرة في الإنتاج من خلال الزيادة الملحوظة في صناعة الأدوات الزراعية كالمناجل والمجارش و الهواوين والمدقات ( ).

ومن خلال الأدلة الأثرية فان سكان المرحلة اعتمدوا اعتمادا كليا على الزارعة المطرية إذ لا وجود لآثار قنوات للري في شمال العراق في ذلك العصر وذلك لان القرى الشمالية تقع ضمن منطقة مناخية ذات نسبة أمطار جيدة تكفي لزراعة معتمدة على الأمطار( ).

ولكن هذا لا يعني إن كل ما عثر عليه من مخلفات نباتية قد تمت زراعتها في نفس مواقع القرى إذ أن هناك حبوب لا يسمح مناخ بعض القرى في زراعتها مثل نبات

العدس الذي تم العثور عليه في بقايا مخلفات موقع أم الدباغية، وهذا يعني انه قد تم جلبه من مناطق أخرى ( ). وان قرى هذه المرحلة لم تشهد تنوعا في زراعة المحاصيل بل اكتفت بصورة رئيسة بزراعة محصولي الحنطة والشعير وذلك لأهميتهما وباعتبارهما المصدر الرئيس للغذاء البشري والى حد ما الحيواني أيضا لاحتوائها على المواد اللازمة لنمو الإنسان والحيوان وهي (الكربوهيدرات) ،كما أن القمح يعتبر من انسب الحبوب لعمل الخبز لاحتوائه على مادة (الجلوتين) والتي تجعل دقيقه انسب دقيق بين الحبوب الأخرى في صناعة الخبز( ).

) الرعي :

لم تقتصر الحياة الاقتصادية في هذا العصر وفي فترة قرى المرحلة الأولى على زراعة الحبوب فقط ، بل لعب الرعي دوره أيضا في الحياة الاقتصادية لسكان القرى، فمن خلال الأدلة الأثرية المتوفرة لوحظ أن سكان قرى المرحلة الأولى قد دجنوا أربعة أنواع رئيسة من الحيوانات هي (الأغنام والماعز والخنازير والكلاب) واستمر الاعتماد على هذه الحيوانات الأربعة بشكل كبير في الحياة الاقتصادية في جميع المراحل الحضارية اللاحقة في العراق القديم. ويبدو أن الغرض الرئيس لتدجين هذه الأنواع من الحيوانات لم يكن للاعتماد عليها من اجل لحومها فحسب وذلك لسببين:

) لو كان الغرض من تدجينها هو لاستهلاك لحومها فقط لما كان من المستطاع التوفيق بين نسبة المواليد الجديدة وبين الأعداد المذبوحة من الحيوانات البالغة مما يؤدي بالتالي إلى نقص خطير في أعدادها.

) استمرار سكان القرى في هذه المرحلة بالاعتماد على صيد الحيوانات البرية لإمدادهم بالطعام والتي عثر على عظامها في مخلفات قرى تلك المرحلة إلى جانب

عظام الحيوانات المدجنة ( ).حيث أكدت دراسات البقايا الحيوانية من تلك القرى إلى استمرار صيد واستهلاك الخنزير البري والثعلب والذئب والغزال والحمار الوحشي والذي استهلك بكثرة في قرية أم الدباغية حيث تم الكشف عن مباني استخدمت للخزن مرسوم على جدرانها حيوان الأونيكر (الحمار الوحشي) ( ). ومن المرجح أن سكان تلك القرى قد استفادوا من الحيوانات المدجنة في متطلبات حياتية عديدة فضلا عن أكل لحومها فإنهم استخدموا أصوافها في عمل المنسوجات والملابس بدليل العثور على أعداد من أقراص الغزل في مخلفات تلك القرى وكذلك استخدام جلودها ومن لبنها وشحمها، كما استخدموا عظامها في صناعة الكثير من الأدوات العظمية لاستخدامها في الزراعة والصيد وكذلك للزينة ( ).

النشاط الاقتصادي في قرى المرحلة الثانية(الألف الخامس ق.)

) الزراعة :

في قرى هذه المرحلة بدأنا نلاحظ ومن خلال الأدلة الأثرية وجود تطور كبير في جانبين رئيسين من العملية الزراعية :

) الجانب الأول تمثل في إدخال أصناف جديدة من النباتات والحبوب ففضلا عن زراعة الحنطة والشعير والتي استمروا في الاعتماد عليها في مؤونتهم الغذائية حيث وجدت بقاياها في آثار قرى المرحلة، واعتمادهم على الحبوب البرية، فإنهم قد ادخلوا في هذه المرحلة زراعة النباتات البقولية والتي تعتبر مصدرا مهما للبروتين والذي يمكن أن يعوض عن البروتين الحيواني وتمثلت بالدرجة الأولى زراعة العدس ( ). كما ادخل زراعة نبات الكتان ولأول مرة في قرى المرحلة وعثر على بقاياه لأول مرة في بقايا قرية الصوان( ) وجوخة مامي( ) كما عثر عليه في حالته البرية، ويعتقد أنهم زرعوا الكتان للحصول على الزيوت والألياف التي استخدمت لصناعة النسيج

ومن المرجح أنهم زرعوا كتان الألياف بصورة أوسع من كتان الزيت وذلك لحاجتهم المتزايدة لإدخال خامات جديدة في صناعة المنتجات نجمت عن الزيادة في عدد سكان القرى وان مادة الصوف لم تعد كافية لسد الحاجة المتزايدة من المنسوجات( ). كما أن سهولة الحصول على الزيوت من لبن الحيوانات المدجنة كالأغنام والماعز يقلل من الحاجة للزيوت النباتية كزيوت الكتان والتي تحتاج إلى معاصر حجرية كبيرة الحجم لسحق بذوره ( ). كما امتازت الزراعة في هذه المرحلة بوفرة الإنتاج والذي استدل عليه من خلال بقايا الحبوب والنباتات في مخلفات قرى المرحلة.

) الجانب الثاني تمثل في إدخال الري الاصطناعي إلى جانب الري المطري الذي استمروا في الاعتماد عليه لإنتاج محاصيلهم في اغلب قرى المرحلة، إلا أن الأدلة الأثرية المتوفرة لدينا تشير إلى بدايات استخدام الري النهري أو الاصطناعي، وذلك بالاستناد إلى وجود زراعة لمحاصيل تحتاج إلى ري صناعي في إنتاجها ومن ذلك محصولي العدس والكتان والذي إذا ما اعتمد على كمية الأمطار في زراعته فانه يكون متوسط إنتاجه منخفض لا يتلاءم مع وفرة إنتاج هذين المحصولين في بقايا قرى المرحلة ( ). ومما يؤكد استخدام الري الاصطناعي العثور على أدلة بنائية في بعض القرى والتي تمثلت بالآبار وذلك في قرية الاربجية( ) والقنوات في جوخة مامي( ) والخندق في تل الصوان ولكن بسبب ارتفاع قاع خندق الصوان عن مستوى النهر المجاور لذا من المرجح أن تكون وسيلة الري التي استخدمت الري السيحي وخصوصا أثناء فيضان النهر، كما من المرجح أن تكون الآبار قد

استخدمت أيضا في الري في قرية الصوان حتى أن هذا الطريقة لا زالت شائعة الاستخدام في المنطقة حتى وقتنا الحاضر ( ).

ومما تقدم نستخلص أن بدايات استخدام طرق الري الاصطناعي قد وجدت في هذه المرحلة بشكل أكيد استنادا إلى الأدلة سابقة الذكر ودراسة لمجمل التطورات الحضارية الأخرى والتي استندت على اقتصاد مزدهر غير معتمد اعتمادا مطلقا على الزراعة الديمية المتذبذبة.

) الرعي :

في هذا المجال استمر سكان قرى هذه المرحلة في الاعتماد على الأنواع الأربعة الرئيسة وهي (الأغنام ، الماعز ، الخنازير فضلا عن الكلاب والتي استخدمت للصيد والحراسة،وقد وجدت بقايا عظام هذه الحيوانات في مخلفات جميع قرى المرحلة ، ومن المرجح ان يكونوا قد اعتمدوا الأعشاب البرية غذاء رئيسا لحيواناتهم فضلا عن الأعلاف الهجينة ولكن بنسبة اقل حيث بلغت نسبة الأعلاف البرية في قرية جوخة مامي % مقارنة مع نسبة الاعلاف الهجينة ( ).

وفضلا عن الحيوانات الداجنة الآنفة الذكر فقد استمر سكان قرى المرحلة في الاعتماد على الحيوانات البرية في غذائهم وصناعاتهم، إذ تم الكشف عن بقايا عظام لحيوانات برية في الاربجية مخلفات القرى مثل الغزال والخنزير البري والثور البري والقطة البرية الكبيرة والأرنب ومجموعة من الطيور ( ). غير أن نسبتها تعتبر ضئيلة إذا ما قورنت مع بقايا عظام الحيوانات الداجنة ومع نسبة الحيوانات البرية التي استهلكت في قرى المرحلة السابقة، وهذا يشير الى الابتعاد التدريجي لسكان قرى المرحلة عن حياة البداوة والتنقل والارتحال بشكل كبير وميله إلى حياة الاستقرار في القرى الزراعية وبشكل شبه نهائي، كما يدل ذلك وبشكل ملموس على الزيادة الملحوظة في أعداد

الحيوانات الداجنة في تلك القرى كما تدل على التحسن المتواصل في إنتاج الغلة الزراعية، وفضلا عن هذين المصدرين النباتي والحيواني اللذين كانا يشكلان المصدر الرئيس لغذاء سكان قرى المرحلة، فقد استخدموا سكان قرية الصوان في غذائهم الأسماك والقواقع النهرية والبحرية ( ).

النشاط الاقتصادي في قرى المرحلة الثالثة (النصف الأول من الألف الرابع ق.)

وفيما يخص الحياة الاقتصادية في المرحلة الثالثة فان ما يؤسف له أن التنقيبات والدراسات التي جرت في قرى المرحلة خصوصا في المنطقة الجنوبية منها لم تركز على ادوار عصور ما قبل التاريخ بل ركزت اهتمامها في المقام الأول على الطبقات البنائية التي تعود إلى العصور التاريخية وبشكل خاص العصر السومري واكتفت بعمل حفر جس اختبارية في طبقات عصور ما قبل التاريخ كانت الغاية منها معرفة التسلسل الطبقي لتلك المواقع، مما اثر بالتالي على حجم ونوعية الأدلة المادية المستخرجة من تلك القرى ليس في المجال النباتي والحيواني فحسب بل في كافة المجالات تقريبا باستثناء الفخاريات.

) الزراعة:

أضحت الزراعة في قرى المرحلة وبالأخص منها قرى وسط وجنوب العراق زراعة ري اصطناعي بالدرجة الأسا ( ). بسبب وقوع المنطقة ضمن خط مطري لا تكفي نسبة أمطاره لقيام زراعة ديمية مطلقا( ) ، ولذا فمن البديهي أن تكون الزراعة قائمة على الري الاصطناعي من الأنهار والمنخفضات المائية المجاورة عن طريق فتح القنوات الخاصة والتي بقيت شائعة في الاستعمال في جنوب العراق حتى عهد قريب، ومن المرجح أن تكون ممارسة الزراعة في قرى جنوب العراق على نطاق واسع ويستدل على ذلك من كثرة المناجل الفخارية التي وجدت في مخلفات تلك

القرى، ويفسر وجودها بهذه الكثرة بسبب الحاجة المتزايدة إليها والذي نتج عن اتساع المساحات المزروعة بشكل كبير وملموس، فضلا عن ازدياد عدد السكان وما نتج عنه من زيادة الحاجة على الغذاء( ) .

أما بالنسبة للزراعة في قرى وسط العراق فقد اعتمدت على الري المزدوج أي اعتمدوا على الزراعة الديمية المعتمدة على الأمطار ، وكذلك الزراعة بال الاصطناعي والذي تمثل بشكل واضح في قرية عياش ( ) . أما قرى هذه المرحلة في المنطقة الشمالية فقد بقيت معتمدة على الزراعة الديمية وذلك لتوفر كمية كافية من الأمطار للزراعة كما في قرية تبة كورا( ).

) **الرعي:**

وفي مجال الرعي وتدجين الحيوانات فعلى الرغم من قلة المخلفات الحيوانية في قرى الجنوب، إلا انه رصدت مع ذلك عدة أنواع منها ما دجنها سكان المرحلة وهي مشابهة لأنواع الحيوانات التي دجنها سكان قرى المرحلتين السابقتين كالأغنام والماعز والخنازير والكلاب فضلا عن أنواع قليلة من الحيوانات البرية كالغزال والطيور والخنزير البري،وأخيرا فقد رصدت في هذه المرحلة وفي قرى الجنوب بالذات زيادة واضحة في عدد سكان تلك القرى، والتي كانت تعتمد على الري الاصطناعي في إنتاجها الزراعي المتطور( ).

وعلى الرغم من قلة الآثار المكتشفة لعصور ما قبل التاريخ في هذه المرحلة إلا أنها تميزت بمميزات هي :-

) ازدياد القرى الزراعية واتساعها وتطور العديد منها لتصبح من المدن الرئيسة في العصور التاريخية.

) اتساع نشاط الزراعة عما كانت عليه في المرحلتين السابقتين والذي كان يتصف بالاكتفاء الذاتي في حين أصبح الإنتاج في قرى هذه المرحلة يفيض عن الحاجة ونتج عن ذلك ظهور بوادر التجارة التي كانت عبارة عن نظام المقايضة والتبادل بفائض ما ينتجونه بالسلع والحاجيات التي تخصصت في إنتاجها طبقات جديدة من السكان وهم الحرفيين والصناع، مثل حرفي الفخار وغيرهم، وبعبارة أخرى ظهر في قرى هذه المرحلة تقسيم للعمل وبدايات التخصص.

) تميزت هذه المرحلة ببداية استيطان السهول في المناطق الوسطى والجنوبية من بلاد الرافدين بعد إتقانه لطرق الري الاصطناعي وشق القنوات والتخلص من ملوحة التربة .... الخ، ونجم عن ذلك تطور في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والمظاهر كافة مما ساهم لاحقا في نهاية هذا العصر إلى اكتشاف الكتابة وانتهاء هذه المرحلة وأصبح هناك ما يعرف بالعصور التاريخية منذ منتصف الألف الرابع ق. .( ) .

الخلاصة

مما تقدم على الرغم من الدراسات التي تناولت مرحلة إنتاج القوت لم تسفر عن تحديد الأسباب لقيام الزراعة في أقاليم معينة دون سواها ومنها بلاد الرافدين، ولكن يظهر من خلال هذه الدراسات إن جماعات الصيادين كانوا قبل العصر الحجري الحديث بزمن طويل يستوطنون ألاماكن المجاورة للأنهار في مواسم الصيد وذلك من اجل صيد الحيوانات الكبيرة واسر صغارها التي تسير خلفها من اجل لحومها أو لمجرد التمتع بها، وقد لاحظ هؤلاء الصيادون نمو النباتات من بذور ونوى الثمار التي يجمعونها للأكل فيما جاور أماكن سكناهم غير أنهم استمروا على جمع الثمار ولم يتعلموا الزراعة ولا رعي الحيوانات وتدجينها إلا عندما أحدثوا تحسينات على

طرق صناعة الآلات الحجرية وقيامهم بقطع الأشجار وقلع جذورها في الغابات وتحويل الأراضي إلى مزارع كما قاموا بتشييد البيوت ليسكنوا فيها والحظائر لحماية حيواناتهم من الحيوانات المتوحشة ولمنعها من الهرب، كما قاموا بصنع الآلات الحجرية المتخصصة واستخدامها في الزراعة كالفؤوس الحجرية وغيرها، وقد كانت هذه المرحلة هي مرحلة تمثل جسرا لانتقال الإنسان من كونه جامعا للقوت والتي استمرت آلاف السنين إلى منتجا للقوت وقيام اقتصاد يعتمد بالدرجة الأساس على الزراعة وبالدرجة الثانية على تدجين الحيوانات.

كما أن تدجين الحيوان يقدم لنا صورا مختلفة من عدة جوانب فقد أخذت عملية تدجين الحيوان وقتا طويلا بعكس النباتات التي زرعها إذ نجد نباتات معينة زرعت بشكل مستقل في مناطق معينة عن سواها ، في حين نجد ان بعض الحيوانات قد دجنت في مختلف المناطق بعيدا عن المناطق التي ظهر فيها التدجين وذلك لقوة انتشار فكرة تدجين الحيوان وإمكانية حدوثها في مختلف المناطق والبيئات، وكما يلاحظ ان عدد الحيوانات التي ألفها الإنسان اقل بكثير من النباتات التي زرعها وبالخص منها الماشية والكلاب وذلك لان تدجين الحيوان يعتمد على أمور عدة منها سلوك الحيوان وقدرته على سرعة التكيف مع الإنسان وكذلك في قدرته على التكاثر في الأسر وكان هذا الأمر يتطلب الاستقرار في أماكن دائمة.

ولم يكن للإنسان في المراحل الأولى سلوك نفعي مقصود تجاه التدجين بل ربما كان في بدايته لغرض الاستمتاع بها وبصغارها ثم بدا الاستفادة من لحومها وأخيرا الاستفادة من ألبانها وأصوافها.

وقد أحدث التدجين سواء النبات أو الحيوان تغيرا فيزيولوجيا (وظيفيا) عليها، وذلك لتتأقلم مع البيئة الطبيعية، فالحيوانات المدجنة مثلا بمرور الزمن تكيفت تدريجيا

لتحمل بيئة جديدة وسلوك ومعاملة الإنسان لها وبقائها في الأسر وتعودها على الإحساس بالمكان والإنسان، وقد لوحظ حدوث التغيرات الفيزيولوجية على الحيوانات المدجنة عند مقارنتها بمثيلاتها الوحشية فالحيوانات المدجنة تكون عظامها اقل حجما واخف وزنا وأكثر رخاوة، وتظهر هذه الفروق ظهورا جليا إلى حد يمكن التمييز بين عظام الحيوانات المدجنة والحيوانات المتوحشة إذا ما عثر على بقايا كليهما أثناء التنقيبات.

وينطبق الحال نفسه على النباتات فحدثت تغيرات في حجم وطول النباتات المدجنة علن البرية ومن ذلك الحنطة والشعير.

الهوامش

( ) جرمو :

تقع قرية جرمو على بعد كم شرق بلدة جمجمال وعلى بعد كم شرق كركوك في الوادي المسمى (جم كورا) وهو احد روافد نهر العظيم، وترتفع عن مستوى سطح الأرض حوالي قدم، احتوت القرية على طبقة بنائية ترتفع بقاياها حوالي أمتار، وقد نقبت فيه بعثة من مديرية الآثار العراقية في أربعينيات القرن الماضي، ثم بعثة من جامعة شيكاغو الأمريكية في سنة برئاسة (بريدوود) واستمرت حتى عام . أظهرت التنقيبات عن بقايا طبقة بنائية ترتفع أنقاضه حوالي أمتار، تم الكشف عن بقايا فخارية في الطبقات الخمس الأخيرة.

حول المدينة ينظر : باقر، طه. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين ، بغداد ، .

وكذلك ينظ :ساكز،هاري. عظمة بابل، موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ترجمة، عامر سليمان ابراهيم،الموصل، - .

( ) التدجين لغويا معناه الالفة والمحبة والاستئناس، فيقال حمام داجن أو ماشية داجنة، أي انها الفت المكان واستانسته، ولا تشمل الحيوانات السائبة التي ترعى لوحدها في الطبيعة (البرية).

حول ذلك ينظر: ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد. لسان العرب ، بيروت، .

( )ساكز، هاري. .

وكذلك ينظر:

HELBACK, H., The Paleoethnobotany of the Near East and Europe, 1960.pp . 99 – 118.

( ) حسونة:

تقع على بعد كم شمال شرق ناحية الشورة وعلى بعد كم جنوب مدينة الموصل ، تشغل مساحة من الأرض مستطيلة الشكل أبعادها × م وبارتفاع م تحتوي على طبقة أثرية. نقبت فيها لأول مرة بعثة عراقية من دائرة الآثار والتراث / م، تم الكشف خلالها عن بقايا عمارية وفخاريات متنوعة وبقايا حيوانية ونباتية متفحمة.

حول المدينة ينظر : الدباغ ، تقي. الثورة الزراعية والقرى الأولى، حضارة العراق ، بغداد، – .

وكذلك ينظر:

الدباغ، تقي. العراق في عصور ما قبل التاريخ. العراق في التاريخ، بغداد - .

( ) أم الدباغية:

تقع على بعد كم غرب مدينة الحضر في محافظة نينوى ويغطي مساحة من الأرض تبلغ إبعادها × م، كشفت التنقيبات التي قامت بها بعثة إنكليزية عن بقايا اربع طبقات بنائية، تم الكشف خلال التنقيبات عن فخاريات وأدوات حجرية متنوعة لأغراض عديدة كالمناجل والمطاحن والمدقات ... الخ،كما تم الكشف عن بقايا مخلفات عمارية لبيوت ومنازل مشيدة من الطوف واللبن بدون أسس، وعن أبنية بدون أبواب ربما استخدمت كمخازن لسكان القرية.

حول المدينة ينظر :

Kirkbride,D., Umm Dabaghiyah, 1971, Apreliminary Report, Iraq, Vol. 34, 1972, pp.5- 11.

( ) يارم تبة :

تقع في سهل سنجار على بعد كم جنوب غربي بلدة تلعفر وتتألف من تلول أثرية تمتد على جانبي نهر صغير يسمى ( ) ثلاث تلول على كل جانب نقبت فيه بعثة ألمانية – سوفيتية ووجدت آثار قرية مبكرة في التل الأول كشف عن طبقة بنائية، وعثر على فخاريات ملونة وغير ملونة وعلى آلات حجرية متنوعة.

حول المدينة ينظر :

الدباغ، تقي. الثورة الزراعية والقرى الأولى، حضارة العراق، ج .

(7)Braidwood R.J, and How , B., Prehistoric Investigations in Iraq Kurdistan , Chicago , 1960. p .98.

( )الخلف ، جاسم محمد . محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، معهد الدراسات العربية العالية ، ط ، القاهرة ، .

(9)Kirkbride,D., Umm Dabaghiyah , Iraq , Vol. 35, No. 1, 1973.p. 6.

( )الخشن ، علي ، و الباري ، احمد آتور . إنتاج المحاصيل ، ج ، دار المعارف ، .

( )باقر، طه .بغداد ، .

(12)Lloyd , S. and Safar, F., Tell Hassuna, JNES. Vol. 4 , No. 4., Chicago, 1947 , p. 257.

( )باقر، طه. .

(14)Braidwood R.J, and How , B., prehistoric investigations in Iraq Kurdistan , Chicago , 1960. p .102

( )الصوان :

تقع قرية الصوان على الضفة الشرقية لنهر دجلة على بعد كم جنوب مدينة سامراء، كشفت التنقيبات عن ثلاث تلول متجاورة وهي (a,b,c)، التل (b) هو أكثرها ارتفاعا أظهرت التنقيبات

عن بقايا طبقات بنائية رئيسة تعود جميعها لعصور ما قبل التاريخ، وتم الكشف عن بقايا بنائية كما تم الكشف عن خندق يحيط بالقرية من ثلاث جهات ثم دعم هذا الخندق بسور دفاعي ضخم مدعم بطلعات ومشيد باللبن كبير الحجم ،وكذلك على مجموعة من الفخاريات والدمى والقبور والات حجرية متنوعة وعن بقايا لعظام حيوانات مدجنة.

حول المدينة ينظر :

Wally, l. and Abu Al- soof, b., The Excavation s at Tell Es- sawwan, first preliminary report , 1964, Summer, Vol. 21, 1965, p. 1- 21.

( ) جوخة مامي :

تقع هذه القرية في محافظة ديالى إلى الشمال من مدينة مندلي، وهي ذات شكل مستطيل أبعاده × م وترتفع أنقاض بقاياها حوالي - م عن مستوى سطح الأرض المجاورة،نقبت فيها بعثة أمريكية في سنة وحتى ، كشفت التنقيبات عن بقايا بنائية مستطيلة الشكل زودت جدرانها الخارجية بطلعات وهي مشيدة باللبن كذلك تم الكشف عن معابد وفخاريات منوعة وادوات حجرية وكذلك دمى بشرية طينية وبقايا عظمية لحيوانات مدجنة وحبوب هجينة للحنطة والشعير.

حول المدينة ينظر :

Oates, j., Choga Mami 1967 – 1968, A preliminary report, Iraq, Vol. 31, 1969, p. 115- 134.

( ) الخشن ، علي ، و الباري ، احمد اتور . إنتاج القطن ومحاصيل الألياف الأخرى المعارف ، مصر ، بدون تاريخ ، ص، .

( ) نفس المصدر السابق. – .

( ) السعيدي، محمد عبد. أساسيات إنتاج المحاصيل الحقلية، بغداد ، .

وكذلك ينظر :

الخشن ، علي ، و الباري، احمد آتور . .

( ) الاربجية:

وتسمى تبة رشوة حاليا تقع على بعد كم شمال شرق مدينة نينوى الأثرية في مدينة الموصل وهو عبارة عن تل صغير يرتفع عن مستوى سطح الأرض المجاورة له بمقدار أمتار ونصف تم الكشف عن هذا الموقع في عام ونقبت فيه بعثة إنكليزية حتى عام ، ثم نقبت فيه بعثة عراقية من دائرة الآثار والتراث عام ، كشفت التنقيبات عن دورين بنائيين رئيسيين وتم العثور على بقايا فخارية منفذة عليها زخارف منوعة وكذلك العثور على بقايا عمارية لبيوت سكنية منها بيوت دائرية الشكل مشيدة من الطين أو اللبن كما تم العثور على أدوات حجرية وبقايا عظمية لحيوانات مدجنة.

حول المدينة ينظر : الدباغ ، تقي. - .وكذلك ينظر:

Mallowan,m. and rose, j., Excavation at tell Arpachiyah 1933, Iraq, Vol. 2, No. 1, 1935, pp. 15- 16.

( ) جوخة مامي :

تقع هذه القرية في محافظة ديالى إلى الشمال من مدينة مندلي، وهي ذات شكل مستطيل أبعاده × م وترتفع أنقاض بقاياها حوالي - م عن مستوى سطح الأرض المجاورة،نقبت فيها بعثة أمريكية في سنة وحتى ، كشفت التنقيبات عن بقايا بنائية مستطيلة الشكل زودت جدرانها الخارجية بطلعات وهي مشيدة باللبن كذلك تم الكشف عن معابد وفخاريات منوعة وأدوات حجرية وكذلك دمى بشرية طينية وبقايا عظمية لحيوانات مدجنة وحبوب هجينة للحنطة والشعير.

حول المدينة ينظر :

Oates, j., Choga Mami 1967 – 1968, A preliminary report, Iraq, Vol. 31, 1969, p. 115- 134.

( ) الجاسم ، صباح عبود. مرحلة الانتقال من جمع القوت إلى إنتاج القوت في العراق وجنوب غرب آسيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، .

(23) Oates, j., Choga Mami 1967 – 1968, A preliminary report, Iraq, Vol. 31, 1969, p. 141.

(24) Hijara, I. Arpachiyah, 1976, Iraq, Vol. 42, 1980, p. 152.

(25) Wahida, G., The Excavation at the third season at Tell Es- sawwn 1966, Summer, Vol. 23, 1967, p. 175.

( ) عبد الله، عدنان مكي. نشأة وتطور القرية في العراق، سومر، مجلد،

.

( )الخلف ، جاسم محمد . محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، معهد الدراسات العربية العالية ، ط ، القاهرة ، . – . وكذلك ينظر : هستد ، كوردن. الأسس الطبيعية لجغرافية العراق، ترجمة ، جاسم محمد خلف، بغداد،

– .

( ) سفر، فؤاد. حفريات تل حسونة، سومر، مجلد، .

( )عياش:

تقع هذه القرية على بعد كم شمال غرب مركز ناحية السعدية في محافظة ديالى،وهي على شكل بيضوي تغطي مساحة من الأرض تقدر بحوالي × م وترتفع بمقدار . م عن مستوى سطح الأرض المجاورة، كشفت التنقيبات عن أربع طبقات بنائية بعمق م تقريبا من الأنقاض الأثرية، وتم الكشف عن بقايا بنائية وكانت المباني تعتمد التخطيط المستطيل ومشيدة باللبن قائمة على أسس من اللبن أيضا، مزودة جدرانها الخارجية بطلعات، كما تم الكشف عن بقايا فخاريات وجرار كبيرة استخدمت كقبور للأطفال، كما تم الكشف عن بقايا نباتات متفحمة وعظام حيوانات مدحنة.

حول المدينة ينظر : الجادر، وليد. تل عياش(تقرير أولي عن حفريات جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار، في موقع تل عياش في حوض حمرين) سومر، مجلد

–).

( ) تبة كورا:

تقع على بعد كم شمال غرب مدينة الموصل، تم الكشف عن طبقة بنائية رئيسة، كما تم الكشف عن مباني مشيدة باللبن قائمة على أسس حجرية، كانت المباني تمثل مباني سكنية ومعابد، كما كشف أيضا عن قبور تحت أرضيات الدور السكنية وبقايا فخاريات متنوعة ودمى فخارية بشرية وحيوانية والحيوانية إن دلت فإنها تدل على الحيوانات التي دجنها الإنسان واستأنسها، وعلى أدوات حجرية متنوعة وعدد كبير من الأختام الاسطوانية، فضلا عن صناعات نحاسية من خواتم وحلقات وكتل ربما كانت عبارة عن مدقات ولكن لم تكن مثقوبة.

حول المدينة ينظ : دانيال، كلين. موسوعة علم الآثار ، بغداد، .

وكذلك ينظر:

Spieser, E., Excavation at Tepe Cawara, Vol. 1. Levels 1 – 8, University of Pennsylvania press, Philadelphia, 1935, pp. 1- 4.

( ) الدباغ ، تقي ، والجادر، وليد. عصور ما قبل التاريخ، بغداد، .

( ) باقر ، طه. .